قصيدة تتضمن قصائد عديدة - للبيتوشي

البيتوشي من فطاحل علماء الأكراد في القرن الثاني عشر الهجري ، ومن عباقرة أهل الفن والأدب ، خدم الأدب العربي ثلاثة أرباع قرن ، وترك للأجيال تراثاً أدبياً قيماً من الأشعار الرقيقة ، والرسائل الأدبية ، والمنظومات العلمية المبتكرة ، والتآليف والشروح المهمة ، والتعليقات والحواشي المفيدة . ثم أسدل الزمان عليه وعلى آثاره ستائر النسيان ، فَنُسِيَتْ أحواله ، وأهملت آثاره ، وضاعت في مجاهل التأريخ روائعه الفكرية وآثاره الأدبية . غير أن الأقدار أبت إلا أن تنقذ من التلف بعض آثاره المبعثرة في كردستان وبغداد والبصرة والزبير والكويت والأحساء والمُبَرَّز ، والمهملة في زوايا مكتباتها تحت طبقات من التراب . فأُلهم كاتب هذه السطور أن يصرف شيئاً كثيراً من وقته وعنايته إلى أداء هذه الخدمة الأدبية والتأريخية ، فشمر عن ساعد الجد ، وسعى سعياً حثيثاً مستمراً ، وجاب البلاد ، وقطع مئات من الأميال ، لجمع ما أمكن جمعه من آثاره المبعثرة ولَمّ شتات صفحات حياته ، حتى وفق — والحمد لله — لجمع شيء كثير منها ومن مخطوطاته القيمة ، فكتب كتاباً في أربع مئة صفحة تقريباً ضمنه ألواناً جديدة من النظم والنثر ، وغرائب وعجائب قلّ مثيلها في الأدب العربي قديمه وحديثه ، سنقدمه — إن شاء الله — الى « المجمع العلمي العراقي » الموقر في أقرب وقت ممكن ، ليرى رأيه الموفق في طبعه ونشره في العالمين العربي والإسلامي .

ونودّ اليوم أن ننشر في هذه المجلة الغرّاء نموذجاً من غرائب تلك الآثار القيمة التي أنتجتها قريحته الصافية وفكره الثاقب ، وهو أنه صاغ قصيدة سداسية الأجزاء خاطب بها أستاذه (ابن الحاج) — رحمه الله — مؤلفةً من عشرة أبيات ، تتضمن مع الأصل سبع عشرة قصيدة ، وإحدى عشرة قطعة ، كل قصيدة منها مؤلفة من عشرة أبيات ، وكل قطعة مؤلفة من خمسة

أبيات ، أي يؤلف منها القصائد والقطع المذكورة بنظرات خاصة ، واعتبارات مختلفة ، فكلمات القصيدة كقطع الشطرنج التي يُلعب بها ، فكما أن تحريك كل قطعة منها يشكل نوعاً من اللعب ، وبالإمكان تحريكها يميناً وشمالاً ، فكذلك يُلعب بكلمات كل بيت منها بأنظمة كلية ، فتصاغ منها باعتبارها القصائد والقطع العديدة ، وتنحصر موضوعات القصائد والقطع في التشكي من مكابدة الفراق ، وحرمان الوصال ، بتعابير رقيقة ، وتراكيب بديعة ، مع الاحتفاظ بجودة المعنى ، وبلاغة الأسلوب ، وروعة البيان ، ومتانة القوافي .

* * *

والقصيدة من البحر الكامل وعروضه الأولى وضربها الثاني وهو المقطوع ، أي أن كل مصراع يحوي ثلاث (متفاعلن) ، إلا أن (متفاعلن) الأخير منه تنقل الى (متفاعِلْ) بسكون اللام ، كما أن كلا من باقي أجزائه مضمر ، فيصير (مُتْفاعلن) بسكون التاء ، ثم ينقل الى (مستفعلن) .

وقد عثرنا عليها في مجموعة خطية بمكتبة العلا محمد بن الحاج ملا عبد الله الجَسْلِيّ رحمه الله بكويسنجق ، كُتبت في عنوانها هذه العبارة : « هذه قصيدة واحدة تتضمن قصائد عديدة للفاضل البيتوشي مخاطباً بها أستاذه ابن الحاج » ، وكانت مجردة عن الشرح والتعليق وبيان كيفية تخريج القصائد منها . ثم رأيتها في مكتبة الأديب الشيخ مصطفى آل الشيخ عبد السلام في السليمانية ، كُتبت أيضاً بغير شرح أو بيان لكيفية التخريج ، غير أننا استخرجنا منها القصائد والقطع الآتية كما تراءى لنا .

وهذا أصل القصيدة :

يا سيدي زاد اكتسابي في الهوى ... كربي علا من زفرتي وعويلي

ربعي عفا فارحم شبابي قد ذوى ... قلبي الصلا من حرقتي وغليلي[1]

(١) الربع : الدار وما حولها . عفا : انمحى ودرس . ذوى : ذبل وجف ماؤه . الصلا : أصله الصلاء بالهمزة ، النار ، حذفت للضرورة . الغليل : العطش الشديد ، أي صار قلبي ناراً من عطشي وحرقتي .

داوِ الحشا وارفع عـــذابي بالدّوا ... يا ذا العُلا يا قِبلَتي وقَبيلي

بالمصطفى سَألَ اغترابي باللِّوى ... جُدْ بالولا في غربتي وسؤولي (١)

والقلب في هذا التصابي ما ارْعَوى ... بِئس البَلا واحسرتي وذبولي (٢)

هذا الجَفا فيه انْقِلابي كالشّوا ... شاوي الكُلا يا نَشْوَتي وشمولي (٣)

عَطفاً فقد جَدّ اضطرابي في الجَوى ... طالَ القِلا من شقوتي وخُمولي (٤)

عَزّ الشّفا من عُظم ما بي في النّوى ... لِلمُبْتَلى من كُربَتي ونُحولي (٥)

لا تَصْبِرَ عن تلك الروابي للثوى ... مرعى الطُّلا يا جَنّتي ومَقيلي (٦)

أيّا الشّفا منها أُلْتِهابي لا السِوى ... خَيْرَ المَلا ، هي بُغْيَتي ، فادْعوا لي (٧)

وتصاغ من هذه القصيدة ست عشرة قصيدة ، وإحدى عشرة قطعة ، إلا أن بعضاً منها في ألوان من الشعر العربي جديده تختلف عن أوزان الشعر المتعارفة ، ككثير من الأشعار والموشحات الأندلسية ، غير أنها تضارع بعضها بعض المضارعة .

---

(١) اللوى : الرمل المتراكم المعوج في البوادي . السؤول : كثير السؤال ، وهو هنا كناية عن كثرة الاحتياج .

(٢) التصابي : الميل الى اللهو واللعب . ارعوى : يقال ارعوى عن الجهل ، كف عنه .

(٣) الشوا : ما شوي من اللحم . الكلا : جمع كلية بالضم ، وشاوي الكلا خبر بعد خبر لقوله : هذا الجفا . الشمول : بالفتح الخمر ، أي أني أتقلب في الجفا والحسرة كما يتقلب اللحم المشوي على النار ، وفي الجمع بين الشوى والشمول والنشوة مناسبة لطيفة .

(٤) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق . القلا : البغض .

(٥) النوى : البعد والفراق . للمبتلى : متعلق بقوله : عز ، وهو إما مصدر ميمي وإما اسم مفعول ، وقوله « من كربتي » : متعلق بالشفاء . النحول : ضعف الجسم ، أي أن شفائي من الكرب والنحول محال ، لعظم ما بي من البعد والفراق .

(٦) الروابي : جمع رابية لما ارتفع من الأرض . الثوى : الاقامة . الطلا : ولد الظبي ساعة يولد ، أي لاصبر على الابتعاد عن تلك الروابي التي خصصت للاقامة والتي هي مرعى الطلا .

(٧) ايا : أصله لياء صفة مشبهة لما اسودت شفته ، مضاف الى الشفا ، وهو حرف الشيء وطرفه ، والمضاف صفة للروابي . الالتهاب : الاحتراق . لا السوى : أي أن احتراقي منها لامن سواها ، فالألف واللام عوض عن المضاف اليه . خير الملا : منادى محذوف منه حرف النداء (يا) بقرينة قوله : « فادعوا لي » . هي : مبتدأ راجع الى الروابي .

القصيدة الأولى — تحصل بحذف الجزء الأخير من آخر كل بيت ، وجعل الكلمة التي قبله منتهى البيت ، هكذا :

يا سيدي زاد أكتسابي في الهوى كربي علا من زفرتي
ربي عفا فأرحم شبابي قد ذوى قلبي الصلى من حرقتي
داو الحشا وأرفع عذابي بالدوا يا ذا العلى يا قبلتي
بالمصطفى طال أغترابي بالهوى جد بالولا في غربتي
والقلب في هذا التصابي ما أرعوى بئس البلا واحسرتي
هذا الجفا فيه أنقلابي كالشوا شاوي الكلا يا نشوتي
عطفاً فقد جد أضطرابي في الجوى طال القلا من شقوتي
عز الشفا من عظم ما بي في النوى للمبتلى من كربتي
لا صبرَ عن تلك الروابي للثوى مرعى الطلا يا جنتي
لَيْا الشفا منها ألتهابي لا النوى . خيرَ الملا ، هي بغيتي

الثانية — التي هي من الرجز المجزوء المدور — تحصل بحذف الجزءين الأخيرين من آخر كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سسيدي زاد أكتسا — بي في الهوى كربي علا
ربي عفا فأرحم شبا — بي قد ذوى قلبي الصلا
داو الحشا وأرفع عذا — بي بالدوا يا ذا العُلا
بالمصطفى طال أغترا — بي بالهوى جد بالولا
والقلب في هذا التصا — بي ما أرعوى بئس البلا
هذا الجفا فيه أنقلا — بي كالشوا شاوي الكلا
عطفاً فقد جد أضطرا — بي في الجوى طال القلا
عز الشفا من عظم ما — بي في النوى للمبتلى

عطفاً ، فقد جدّ اضطرابي
عز الشفا من عظم ما بي
لا صبرَ عن تلك الروابي
لَيْيا الشفا منها التهابي

الخامسة — تحصل بحذف الجزء الأول من أول كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

زاد اكتسابي في الهوى كربي علا من زفرتي وعويلي
فارحم شبابي قد ذوى قلبي الصّلا من حرقتي وغليلي
وارفع عذابي بالدوا ياذا العُلى يافبلتي وقبيلي
طال اغترابي باللوى جد بالولا في غربتي وسؤلي
هذا التصابي ما ارعوى بئس البَلا واحسرتي وذبولي
فيه انقلابي كالشوا شاوي الكُلا يانشوتي وشمولي
جدّ اضطرابي في الجوى طال القِلا من شقوتي وخمولي
من عظم مابي في النوى للمُبْتلى من كربتي وخبولي
تسلك الروابي للشوى مرعى الطلى ياجنتي ومقيلي
منها التهابي لا السّوى . خيرَ الملا ، هي بغيتي ، فادعوا لي

السادسة — تحصل بحذف الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

كربي علا من زفرتي وعويلي
قلبي الصلا من حرقتي وغليلي
ياذا العلى يافبلتي وقبيلي
جد بالولا في غربتي وسؤولي
بئس البلا واحسرتي وذبولي
شاوي الكلا يانشوتي وشمولي

طال القلى من شقوتي وخمولي
للمبتلى من كربتي ونحولي
مرعى الطلا يا جنتي ومقيلي [1]
خيرَ الملا ، هي بغيتي ، فادعوا لي

السابعة — التي هي من الرجز المنهوك — تحصل بحذف الشطر الثاني والجزء الأول من الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

زاد اكتسابي في الهوى
فارحم شبابي قد ذوى
وارفع عذابي بالدوا
طال اغترابي باللوى
هذا التصابي ما أرعوى
فيه انقلابي كالشوا
جدّ اضطرابي في الجوى
من عظم ما بي في النوى
تلك الروابي للثوى [2]
منها انتهابي لا السوى

الثامنة — التي هي من الرجز المنهوك — تحصل بحذف الشطر الأول والجزء الأخير من الشطر الثاني من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

كربي علا من زفرتي
قلبي الصلا من حرقتي

(١) مرعى الطلا : منادى محذوف منه حرف النداء ، وكذلك قوله الآتي : خير الملا ،
(٢) تلك الروابي : مبتدأ ، خبره قوله الآتي : منها انتهابي الخ .

يا ذا الصلا يا قبلتي
جد بالولا في غربتي
بئس البلا واحسرتي
شاوي الكلا يا نشوتي
طال القلا من شقوتي
للمبتلى من كربتي
مرعى الطلا يا جنتي
خيرَ الملا ، هي بغيتي

التاسعة — التي هي من الرجز المجزوء — تحصل بحذف الجزء الأول والأخير من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

زاد اكتئابي في الهوى — كربي علا من زفرتي
فارحمْ شبابي قد ذوى — قلبي الصلا من حرقتي
وارفع عذابي بالدوا — ياذا العلى يا قبلتي
طال اغترابي بالنوى — جد بالولا في غربتي
هذا التصابي ما أرعوى — بئس البلا واحسرتي
فيه انقلابي كالشوا — شاوي الكلا يا نشوتي
جدّ اضطرابي في الجوى — طال القلا من شقوتي
من عظم مابي في النوى — للمبتلى من كربتي
تلك الروابي للشوى — مرعى الطلى يا جنتي
منها التهابي لا الهوى — خيرَ الملا ، هي بغيتي

العاشرة — التي هي من الرجز المجزوء — تحصل بحذف الجزء الأول والأخير من الشطر الثاني من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي زاد اكتسا بي في الهوى من زفرتي
ربعي عفا فارحم شبا بي قد ذوى من حرقتي
داو الحشا وارفع عذا بي بالدوا يا قبلتي
بالمصطفى طال اغترا بي بالثوى في غربتي
والقلب في هذا التصا بي ما ارعوى واحسرتي
هذا الجفا فيه انقلا بي كالشوا يا نشوتي
عطفاً فقد جدّ اضطرا بي في الهوى من شقوتي
عز الشفا من عظم ما بي في النوى من كربتي
لا صبر عن تلك الروا بي للثوى يا جنتي
ليا الشفا منها النها بي لا السوى هي بغيتي

الحادية عشرة — تحصل بحذف الجزء الأخير من الشطر الأول ، والجزء الأول من الشطر الثاني من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي زاد اكتسابي من زفرتي وعويلي
ربعي عفا فارحم شبابي من حرقتي وعليلي
داو الحشا وارفع عذابي يا قبلتي وقبيلي
بالمصطفى طال اغترابي في غربتي وسؤولي
والقلب في هذا التصابي واحسرتي وذبولي
هذا الجفا فيه انقلابي يا نشوتي وشمولي
عطفاً فقد جد اضطرابي من شقوتي وخولي
عز الشفا من عظم ما بي من كربتي وتحولي
لا صبر عن تلك الروابي يا جنتي ومقيلي
ليا الشفا منها النهابي هي بغيتي فادعوا لي

الثانيـة عشرة — التي هي من الرجز المشطور ـ تحصل بحـذف الجزءين الأخيرين من الشطر الأول ، والجزء الأخير من الشطر الثاني من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي كربي علا من زفرتي
ربعي عفا قلبي الصلا من حرقتي
داو الحشا يا ذا الصلا يا قبلتي
بالمصطفى جد بالولا في غربتي
والقلب في بئس البلا واحسرتي
هذا الجفا شاوي الكلا يا نشوتي
عطفاً فقد طال القلا من شقوتي
عز الشّفا للمبتلى من سكربتي
لا صبر عن مرعى العلا يا جنتي
ليا الشّفا ، خيرَ الملا ، هي بغيتي

الثالثة عشرة — التي هي من الرجز المنهوك ـ تحصل بحذف الجزءين الأخيرين من كل شطر من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سـيدي كربي علا
ربعي عفا قلبي الصلا
داو الحشا يا ذا الملا
بالمصطفى جد بالولا
والقلب في بئس البلا
هذا الجفا شاوي الكلا
عطفاً فقد طال القلا
عز الشفا للمبتلى

لاصبرَ عن مرعى العلا
لَيْا الشفا خير الملا

الرابعة عشرة — التي هي من الكامل المجزوء ـ تحصل بحذف الجزءين الأخيرين من الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي كربي علا	من زفرتي وعويلي
ربعي عفا قلبي الصلا	من حرقتي وغليلي
داو الحشا يا ذا العلا	يا قبلتي وقبيلي
بالمصطفى جد بالولا	في غربتي وسؤولي
والقلب في بئس الولا	واحسرتي وذبولي
هذا الجفا شاوي الكلا	يا نشوتي وشمولي
عطفاً فقد طال القلا	من شقوتي وخمولي
عز الشفا للمبتلى	من كربتي وعويلي
لا صبر عن مرعى العلا	يا جنتي ومقيلي
ليا الشفا خير الملا	هي بغيتي فأدعوا لي

الخامسة عشرة — التي هي من الرجز المجزوء ـ تحصل بحذف الجزءين الأخيرين من الشطر الثاني ، ونقل الجزء الأول منه الى موضع الجزء الثاني من الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، هكذا :

يا سيدي كربي علا	زاد اكتسابي في الهوى
ربعي علا قلبي الصلا	فارحم شبابي قد ذوى
داو الحشا يا ذا العلا	وارفع عذابي بالدوا
بالمصطفى جد بالولا	طال اغترابي باللوى
والقلب في بئس البلا	هذا التصابي ما ارعوى

هذا الجفا شاوي الكلا فيه أنقلابي كالشوا
عطفاً فقد طال القلا جد أضطرابي في الهوى
عزّ الشفا للمبتلى من عظم ما بي في النوى
لا صبر عن مرعى الحلا تلك الروابي للثوى
لبيا الشفا خير الملا منها التهابي لا السوى

السادسة عشرة — التي هي من الكامل المجزوء المقطوع المضرب — تحصل بحذف الجزء الأول من كل شطر من أصل القصيدة ، هكذا :

زاد أكتسابي في الهوى من زفرتي ودموعي
فأرحم شبابي قد ذوى من حرقتي وغليلي
وأرفع عذابي بالدوا يا قبلتي وقبيلي
طال أغترابي بالنوى في غربتي وسؤولي
هذا التصابي ما أرعوى واحسرتي وذبولي
فيه أنقلابي كالشوا يا نشوتي وشمولي
جد أضطرابي في الجوى من شقوتي وخمولي
من عظم ما بي في النوى من كربتي ونحولي
تلك الروابي للثوى يا جنتي ومقيلي
منها التهابي لا السوى هي بغيتي ، فأدعوا لي

والقطعة الأولى — التي هي من الرجز التام عروضاً وضرباً — تحصل بحذف الشطر الثاني من أبيات القصيدة ، وضم الشطر الأول من البيت الأول الى الشطر الأول من البيت الثاني ، وهكذا الى آخر القصيدة ، هكذا :

يا سيدي زاد أكتسابي في الهوى ربعي عفا فأرحم شبابي قد ذوى

داو الحشـا وأرفع عـذابي بالدوا　　بالمصطفى طـال أغترابي باللوى
والقلب في هذا التصـابي ما أرعوى　　هـذا الجفا فيـه أنقلابي كالشوا
عطفـاً فقد جد أضطرابي في الجوى　　عز الشـفا من عظم ما بي في النوى
لا صـبر عن تلك الروابي للثوى　　ليا الشـفا منهـا التهابي لا السـوى

الثانية — التي هي من الكامل المجزوء المضمر المرفّل المصرع ، زيد في عروضه للتصريع والحاقه بالضرب المرفّل ، والا فلا ترفيـل في عروض الكامل — تحصل بحذف الشطر الثاني والجزء الأخير من الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، وضم الباقي من البيت الأول الى الباقي من البيت الثاني ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

يا سيدي زاد أكتسابي　　ربعي عفا فأرحم شبابي
داو الحشا وأرفع عذابي　　بالمصطفى زاد أغترابي
والقلب في هذا التصابي　　هـذا الجفا فيه أنقلابي
عطفاً فقد جد أضطرابي　　عز الشفا من عظم ما بي
لا صبرَ عن تلك الروابي　　ليـا الشفا منها ألتهابي

الثالثة — التي هي من الرجز المجزوء — تحصل بحذف الشطر الثـاني والجزء الأول من الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، وضم الباقي من البيت الأول الى الباقي من البيت الثاني ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

زاد أكتسابي في الهوى　　فأرحم شـبابي قد ذوى
وأرفع عـــذابي بالدوا　　طـال أغـترابي باللوى
هذا التصـابي ما أرعوى　　فيـه أنقلابي كالشوا
جد أضطرابي في الجوى　　من عظم ما بي في النوى
تلك الروابي للثـــوى　　منها التهابي لا السوى

الرابعة — تحصل بضم الجزء الثاني من الشطر الأول من البيت الأول الى الجزء الثـاني

من الشطر الأول من البيت الثاني من أصل القصيدة ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

زاد أكتسابي فأرحم شبابي
وأرفع عذابي طال أغترابي
هذا التصابي فيه أنقلابي
جد أضطرابي من عظم ما بي
تلك الروابي منها ألتهابي

الخامسة — التي هي من الكامل المرفّع المقطوع الضرب والعروض ، والقطع في العروض إنما يجوز للتصريع والإلحاق بالضرب في النقص ، والا فلا قطع في عروض الكامل — تحصل بحذف الشطر الأول من كل بيت من أصل القصيدة ، وضم الشطر الثاني من البيت الأول الى الشطر الثاني من البيت الثاني ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

كربي علا من زفرتي وعويلي قلبي الصلا من حرقتي وغليلي
يا ذا العلا يا قبلتي وقبيلي جد بالولا في غربتي وسؤولي
بئس البلا واحسرتي وذبولي شاوي الكلا يا نشوتي وشمولي
طال القلا من شقوتي وخمولي للمبتلى من كربتي ونحولي
مرعى الطلا يا جنتي ومقيلي خيرَ الملا ، هي بغيتي ، فأدعوا لي

السادسة — التي هي من الرجز المجزوء تحصل بحذف الشطر الأول والجزء الأخير من الشطر الثاني من كل بيت من أصل القصيدة ، وضم الباقي من البيت الأول الى الباقي من البيت الثاني ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

كربي علا من زفرتي قلبي الصلا من حرقتي
يا ذا العلى يا قبلتي جد بالولا في غربتي
بئس البلا واحسرتي شاوي الكلا يا نشوتي
طال القلا من شقوتي للمبتلى من كربتي

مرعى الطلا يا جنتي خيرَ الملا ، هي بغيتي

السابعة — التي هي من الرجز المنهوك — تحصل بضم الجزء الأول من الشطر الثاني من البيت الأول الى الجزء الأول من الشطر الثاني من البيت الثاني من أصل القصيدة ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

كربي علا قلبي الصلا
يا ذا الملا جد بالولا
بئس البلا شاوي الكلا
طال الفلا المبتلى
مرعى الطلا خير الملا

الثامنة — التي هي من الرجز المنهوك — تحصل بضم الجزء الأول من الشطر الأول من البيت الأول الى الجزء الأول من الشطر الأول من البيت الثاني من أصل القصيدة ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

يا سيدي ربعي عفا
داو الحشا بالمصطفى
والقلب في هذا الجفا
عطفاً فقد عز الشفا
لا صبر عن لمياء الشفا

التاسعة — التي هي من الرجز التام — تحصل بضم الجزء الأول من الشطر الأول والجزءين الأولين من الشطر الثاني من البيت الأول الى نظائرها من البيت الثاني من أصل القصيدة ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

يا سيدي كربي علا من ذفرتي ربعي عفا قلبي الصلا من حرقتي
داو الحشا يا ذا الملا يا قبلتي بالمصطفى جد بالولا في غربتي

والقلب في بئس البلا واحسرتي هذا الجفا شاوي السكلا يا نشوتي
عطفاً فقد طال القلا من شقوتي عز الشفا المبتلى من كربتي
لا صَبْرَ عن مرعى الطلا يا جنتي ليا الشّفا ، خيرَ الملا ، هي بغيتي

العاشرة — التي هي من الرجز المجزوء — تحصل بضم الجزء الأول من كل شطر من البيت الأول الى نظيره من البيت الثاني من أصل القصيدة ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

يا سيدي كربي علا ربعي عفا قلبي الصلا
داو الحشا يا ذا العلا بالمصطفى جد بالولا
والقلب في بئس البلا هذا الجفا شاوي السكلا
عطفاً فقد طال القلا عز الشّفا المبتلى
لا صبر عن مرعى الطلا ليا الشّفا ، خير الملا

الحادية عشرة — التي هي من الرجز المشطور — تحصل بضم الجزء الأول من كل شطر من البيت الأول الى الجزء الأول من الشطر الأول من البيت الثاني من أصل القصيدة ، وهكذا الى آخرها ، هكذا :

يا سيدي كربي علا ربعي عفا
داو الحشا ياذا العلا بالمصطفى
والقلب في بئس البلا هذا الجفا
عطفاً فقد طال القلا عز الشفا
لا صَبْرَ عن مرعى الطلا ليا الشفا

ويمكن تأليف قصائد وقطع أخرى منها أيضاً ، وذلك علاوة على ما استنبطناه ، مع صحة الأوزان ، إلا أن معانيها لا تخلو من ركاكة ، فلذا تركناها جانباً .

والحق أن الصنعة في نظم هذه القصيدة بالغة غاية الإبداع ونهاية الإتقان ، وهي إن دلت فعلى نبوغ الذكاء ، وثاقب التفكير ، وطول الباع في اللغة والأدب والعروض ، وما ذلك على

البيتوشي النسابغ بعزيز ، يضاف إلى ذلك أنني لم أجد كذلك من أدباء العربية قديماً وحديثاً من سبق البيتوشي إلى النزول في هذا الميدان .

أجلْ ، إن الحريري صاغ قصيدة سداسية الأجزاء في المقامة الثالثة والعشرين المعروفة بـ (البغدادية) ، والقصيدة من البحر الكامل ، إلا أن الجزءين الأولين من الصراع الأول منها مضمران والضرب مقطوع ، غير أن قصيدة الحريري تتضمن قصيدة واحدة فحسب ، وذلك بحذف الجزء الأخير من آخر كل بيت ، وهذه القصيدة هي :

يا طالبَ الدنيا الدنيـــة ، إنّها ... شَرَكُ الرَّدَى وقرارَةُ الأكدارِ

دارٌ متى ما أضحكتْ في يومها ... أبْكَتْ غداً ، بُعْداً لها من دارِ

إلى آخرها .

ومما لا شك لي فيه أن البيتوشي اهتدى بأضواء هذه القصيدة ، إلا أنه أبدع وأبتكر في فنه ، وسار به الى نهاية الشوط .

قال العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي الجزائري حينما زارني في مكتبي بالسليمانية سنة (١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م) ودار البحث بيني وبينه في هذه القصيدة ، قال : إنها مقتبسة من قصيدة أبي يحيى أبن عاصم الوزير الأندلسي المنشورة في كتاب (أزهار الرياض في أخبار عياض) . وبعد مطالعتها تبين أنها قصيدة مؤلفة من مئة وعشرين بيتاً ، كتب بعض كلماتها — في نسخة المؤلف — بالمداد الأحمر ، وبعضها بالأخضر ، تتولد من المكتوب بالأحمر قصيدة ، ومن المكتوب بالأخضر أخرى بديعة ، وكل واحدة من هاتين البيتين تلد موشحة ، ولكن بطريقة أخرى غير طريقة البيتوشي في أستخراج القصائد . فقصيدة البيتوشي الأم وطريقة أستخراج القصائد منها ليست من وادي قصيدة أبن عاصم ، ولا مقتبسة منها ، على أن كتاب (أزهار الرياض) قد طبع بعد وفاة البيتوشي بسبعة وأربعين ومئة عام ، ومن المستبعد جداً أن البيتوشي رأى إحدى النسختين الخطيتين من الكتاب المذكور ، اللتين عثر عليهما أخيراً في دار الكتب المصرية والخزانة التيمورية .

وقد تذكرت بهذه القصيدة الصنمة التي أبدعها السيد أحمد فائز البرزنجي الكردي في كتابه (كنز اللسن) ، فإن هذا الكتاب عبارة عن أحد عشر جدولاً ، ويقرأ بخمسة عشر نوعاً ، ويشتمل على ستة ألسنة ، وعلى أحد عشر علماً من العلوم الاثني عشر ، وعلى قصيدتين : فارسية وتركية ، وعلى أربعة أبيات باللغات الروسية والفرنسية والكردية ، وذلك كما يأتي :

إن الكتاب المذكور — كما ذكرنا — عبارة عن أحد عشر جدولاً : الجدول الأول في علم الكلام ، والثاني في التفسير ، والثالث في الحديث ، والرابع في الفقه ، والخامس في النحو والصرف ، والسادس في الحكمة ، والسابع في المنطق ، والثامن في المعاني والبيان والبديع والآداب ، وكل هذه الجداول باللغة العربية ، والجدول التاسع قصيدة تركية في مدح السلطان عبد الحميد الثاني ، والعاشر قصيدة فارسية في مدح السلطان نفسه ، والحادي عشر أربعة أبيات : واحد منها باللغة الكردية ، والثاني باللغة الروسية ، والثالث والرابع باللغة الفرنسية .

ومن أغرب الغرائب أنه إذا قرئ الكتاب أفقياً ، تنقلب الكلمات التركية والفارسية والفرنسية والروسية والكردية الى الكلمات العربية ، وتنقلب جميع العلوم المذكورة والقصائد والأشعار إلى علم الفقه ، ووجوب طاعة السلطان ، وفضائل آل عثمان .

وإذا لقطت من أواخر كل جدول في آخر الكتاب كلمة واحدة ، يحصل منها بيت عربي فيه تأريخ تأليف الكتاب ، وهذا البيت هو :

ما نيل ما أبدعت من عجائبي لذا أتى التأريخ (من غرائبي)

وهذا الكتاب غير مطبوع ، ونسخته الوحيدة المقرظة بتقاريظ علماء استنبول وأدبائها موجودة لديّ ؟

السليمانية : محمد الخال